



دور الطابور الخامس في إجهاض ثورات الشعوب

بقلم: رانف محمد الويشي

5 أكتوبر 2012

إجهاض ثورات الشعوب يشبه إلى حد كبير العمليات الجراحية في الغرف الطبية ، فكما أن لكل عملية جراحية عوامل تضمن شفاء المريض بنسبة كبيرة من عله ، كذلك الأمر مع عمليات إجهاض الثورات .. وكما أن هناك أطباء لهم شهرة عالمية في تخصص جراحي معين ، كذلك هناك بعض الدول التي تتخصص في إفشال ثورات الشعوب وتحطيم أمانيتها العادلة في العزة والكرامة ..

هناك وسائل مختلفة لإجهاض ثورة الشعوب ، وهي تتوقف على عدة عوامل ، أهمها الحالة التي عليها الشعب المعنى بذلك .. أغلب هذه العمليات الإجهاضية تتم دون شعور من المواطن ، تماما مثل الحقنة التي يضربها الطبيب الماهر في الشريان دون أن تشعر بها ، بل إن بعض هذه العمليات الإجهاضية تتم بمساعدة المواطن الغيور على بلده ، وهذا يتطلب من الفنان الذي يقوم بهذا الإجهاض - وهو ضابط أمني محترف يعمل في مكتب فخم يبعد آلاف الأميال - معرفة أماكن الحديد الملتهب داخل بلد الثورة كي يطرقه باحترافية شديدة ، فيصنع منه لوحة كبيرة بحدود البلد المعنى بذلك ، عنوانها أحيانا " لقد أسقطنا الثورة التي تقف في طريق مصالحنا " ، وعنوانها أحيانا أخرى " لقد أقمنا ثورة ضد نظام يقف في طريق مصالحنا " ، سنذكر هنا في عجلة أغلب الوسائل التقليدية وغير التقليدية التي تستخدم في ذلك :

1- **يوجد التدخل العسكري الغير مباشر** ، حيث تتعرض دولة الثورة بهجوم عسكري من دولة حدودية تكون موالية أمريكا ، وقد لا يكون الهدف هو إسقاط النظام الذي اختارته الثورة ، بل فقط لإشغاله واستنزافه لتوقيف أو تعطيل برامج التنمية وإجبار الشعب على التظاهر لتدهور المعيشة ، وقد جربت مصر تلك النوعية من إسرائيل في عامي 1956 ، 1967 ، ويجرى تطبيقها الآن في غزة ..

2- **يوجد الانقلاب العسكري من رجال أمريكا في جيش الدولة** التي نجحت فيها الثورة ، وتزداد المخاوف هنا لو كانت أمريكا هي المكان الذي كان يتدرب فيه قادة الجيش في النظام الذي سبق الثورة ، فالضابط الذي يذهب في بعثة تدريبية إلى تلك البلاد العظمى يتعرض بها لغسيل مخ شديد لمعرفة كيفية الاستفادة منه وقت الحاجة ..

3- **يوجد الحصار الاقتصادي على مفاصل الدخل القومي للدولة** صاحبة الثورة ، ومن ذلك مقاطعة الاستيراد منها أو التصدير لها في منتج معين يمثل عماد الدخل القومي في البلد صاحبة الثورة ، وهو ما يحدث مع إيران حاليا حيث تقاطع أمريكا وحلفاؤها البترول الإيراني ..

4- **يوجد أيضا العمل التخريبي على عنصر يمثل عصب الدخل القومي** في الدولة صاحبة الثورة أو يمثل الاستقرار بها ، فطائرات المخابرات الأمريكية من طراز U-2 قامت في ستينات القرن الماضي بطلعات فوق حقول قصب السكر في كوبا ونشرت بها فيروسات أفسدت المحصول ، ومن الممكن جدا وبسهولة تامة أن يتم ذلك في مصر الآن ، ونضرب بذلك ثلاثة أمثلة :

- **ضرب السياحة** بتفجير أتوبيس بالسياح مثلا ، وهذا العمل الإرهابي سيجعل مصر مشلولة لمدة عام تقريبا حتى تستعيد قوتها مرة أخرى ، وفي سنة الشلل هذه سيكون قد ضاع دخل السياحة لمدة عام ، وهو بهذه المناسبة في حدود 13 مليار دولار ، وقد عايشنا للأسف تلك الحوادث في مصر ونعرف تأثيرها المزلزل على الاقتصاد ، وقد يتم تكرار تلك العملية السهلة ثانيا وثالثا ..

- **إغراق سفينة كبيرة** محملة ببضائع معقدة الحمولات في ممر ضيق بقناة السويس ، وهذا معناه شلل القناة حتى يتم رفع الأطلال

من المجرى ، فإذا عرفنا أن دخل القناة السنوي بحدود 5.3 مليار دولار ، فمعنى ذلك أنه سيضيع نصف هذا المبلغ خلال فترة رفع الأتقاض ، ومثله كالمثل السابق في التكرار ..

- **تفجير كنيسة من الكنائس** ، وهذا العمل الإرهابي شاهدناه كثيرا في مصر ، ورأينا كيف يؤدي إلى شحن شديد وسريع بالقلوب لقوى التطرف من الجانبين ، وهو ما يؤدي في النهاية إلى دخول بلد الثورة في دوامة لا يعلمها إلا الله ، خاصة لو جرت عمليات الانتقام والانتقام المضاد ..

5- يوجد أيضا الغوغاء حيث تقوم جهات داخلية أو خارجية بشراء عدة آلاف منهم للقيام بثورة مضادة في الشوارع الرئيسية والميادين ، كي يثبتوا للشعب أن النظام غير قادر على حفظ الاستقرار ..

- **ربما يملك القارئ العربي عموما والمصري بصفة خاصة الخبرة الكافية في وسائل التدخل الأربعة الأولى ، لكنني أعتقد وأرجو أن أكون على خطأ - أن القارئ لا يملك نفس الخبرة والمعرفة في الأسلوب الخامس والأخير ، وسنفرد ببقية مقالنا هذا للحديث عنه ، لظني أنه الأكثر ترشيحا على الساحة المصرية ، وسيكون ذلك بأمثلة واقعية جرت أحداثها على الأرض :**

فنزويلا 2002

تقع فنزويلا في شمال أمريكا اللاتينية ، ويبلغ تعدادا سكانها 28 مليون نسمة ، وهي دولة غنية بالبتترول ، وتحتل المرتبة الرابعة عالميا في تصديره ، ونسبة الأمية تمثل بها 8 % (النسبة في مصر بحدود 50 % !!) ..

عاشت فنزويلا لعقود كحديقة خلفية للولايات المتحدة ، فقد استغلت شركات البترول الأمريكية نفط فنزويلا بقسوة ، بينما أعطت الفئات منه لأصحاب الأرض ، وهو ما جعل الفقر منتشرا بين السكان في تلك الدولة الغنية بالبتترول (55 % يعيشون تحت خط الفقر) ..

أخرجت صناديق الانتخابات في فنزويلا في 2 فبراير 1999 شخصية معادية لسياسة الولايات المتحدة ، لقد كانت تلك الشخصية هي هوجو شافيز الذي أوقف بمجرد فوزه عمليات السرقة والاستغلال لثروات ومواطني فنزويلا ، وقام بتأميم شركات البترول ، وخفض التعامل التجاري مع من مصوا دماء شعبه ، حتى أنه باع طائرات الـ F-16 التي اشتراها النظام السابق ، واستبدلها بالميج 31 الروسية ..

ولد شافيز في أسرة فقيرة عام 1954 وتخرج كضابط في القوات الجوية الفنزويلية في عام 1975 ، ثم درس التاريخ وعلم الاجتماع .. قام بمحاولة انقلابية فاشلة في عام 1992 وأودع السجن لأربع سنوات ..

في عام 1997 أسس شافيز حزبا سياسيا يسمى الجمهورية الخامسة ، اهتم الحزب بصورة أساسية بالفقراء ومحاربة الفساد وتخصيص ثروات البلاد لمواطنيها .. فاز حزب شافيز في الانتخابات الرئاسية التي جرت في ديسمبر 1998 ، وأنهى بذلك سيطرة حزبى العمل الديمقراطي والديمقراطيين المسيحيين على الحياة السياسية لمدة 30 عاما ..

أجري شافيز تعديلا دستوريا في ديسمبر 1999 ، وحظي التعديل بموافقة الشعب والبرلمان ، ثم أنتخب بعده في 30 يوليو 2000 لمدة ست سنوات ..

سببت سياسة التأميم التي اتبعها شافيز خسائر فادحة للشركات الأمريكية التي كانت مسيطرة بصورة كاملة على اقتصاد فنزويلا ، وشجعت تلك السياسة العديد من شعوب الدول اللاتينية على السير في الطريق الذي رسمه شافيز لشعبه (مجموعة دول اليسار المكونة من بوليفيا والبرازيل والأرجنتين وتشيلي والإكوادور ونيكارجوا وأرجواي وفنزويلا) ..

في صباح 11 أبريل 2002 فوجئ الشعب في فنزويلا بعدة آلاف من المتظاهرين ينزلون - بلا سابق إنذار - إلى شوارع العاصمة كاراكاس وينادون بإسقاط الرئيس شافيز ..

لقد أرسلت وكالة المخابرات المركزية الدولارات وأحضرت النقابات العمالية الموالية للنظام القديم الآلاف من البلطجية ، وكان بعض قادة الجيش المؤثرين الذين دُربوا في أمريكا على علم مسبق بما سيجرى ، ويستعدون له في وحداتهم العسكرية ..

قبض الغوغاء المتآمرون على رئيس الفقراء الذي أراد الكرامة لشعبه ، أودعوه السجن .. اعترف الرئيس الأمريكي جورج بوش بعد ساعات من البيان الإذاعي للنظام الجديد بالرئيس المؤقت الذي نصبه المتآمرون (بيدرو كارمونا) ، لم يكتف البيان الأمريكي بالتأييد بل صب غضبه على الرئيس الذي انتخبه الشعب ..

شلت الصدمة عقول فنزويليين في اليوم الأول ، لكنهم أفاقوا منها في اليوم التالي ، نزل الملايين إلى العاصمة واتجهوا إلى مكان الاعتقال الذي أودع فيه شافيز ، وكان تحت حراسة مشددة ، فتحوا الأبواب بصدورهم وأخرجوه وذهبوا به إلى مكان عمله في القصر الجمهوري ..

لقد خسرت أمريكا الجولة في فنزويلا خسارة منكرة ومذلة ، وفضح شافيز الدور الأمريكي باعتراف من قام بتنفيذه ومن قبض الدولارات الملتخة بدماء فقراء فنزويلا ..

أوكرانيا 2004

هي إحدى جمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق ، ويبلغ تعداد شعبها بحدود 52 مليون نسمة ، وتقع بعض أقاليمها الجنوبية على البحر الأسود ، وهي دولة فقيرة رغم امتلاكها لكل عوامل التقدم لتحقيق الهدف الأسمى للشعوب : رخاء - استقرار - حرية ..

كان رئيسها ليونيد كوتشما قد ورث التركة في عام 1991 في أعقاب تفكك الإتحاد السوفيتي ، وكانت مدة ولايته قد قاربت على الانتهاء في نوفمبر 2004 ..

كان كوتشما فاسدا واستعان ببطانة أسوأ منه وتقاسم معهم ثروة البلاد ، كما لم تسلم المعارضة من بطشه ، ففي يوم 22 فبراير 2000 قامت أجهزة أمنه باغتيال الصحفي جورجى جونجاذزى والذي كان أحد أنشط الصحفيين المعارضين لنظامه وعثر على جسده بدون رأس في غابة بالقرب من كييف ..

في 2004 نظمت المعارضة الأوكرانية صفوفها تحت زعامة فكتور يوشينكو وكان مواليا للغرب ، كما نظم الحزب الحاكم نفسه تحت زعامة فكتور يانكوفتش ، وكان مواليا لروسيا .. أجريت الانتخابات في نوفمبر 2004 وفاز فيها فكتور يانكوفتش بنسبة 46.9 % على منافسه فكتور يوشينكو الذي حصل على نسبة 46.6 % ..

قامت المخابرات المركزية الأمريكية في أعقاب سقوط رجليها في الانتخابات بعمليات واسعة لحشد الناس (خاصة الشباب) في جميع أقاليم أوكرانيا البالغة 24 إقليم وتم إرسالهم إلى كييف ..

أنفقت الولايات المتحدة 200 إلى 300 مليون دولار على هذا العمل ، وتم تحديد 31 ديسمبر 2004 كيوم للتجمع في كييف في نقطتين ، كانت الأولى في ميدان الاستقلال حيث يمثل رمزا لحصول أوكرانيا على حريتها في عام 1991 في احتفال ضخم جرى به ، وكانت الثانية حول البرلمان لمنع أعضاء الحكومة الجديدة من مزاوله أعمالهم ..

كان ميدان الاستقلال في يوم 31 ديسمبر 2004 يضم نصف مليون أوكراني ، كان أغلبهم من الفئة المستهدفة وهي فئة الشباب ، مكث المحتشدون في الميدان ليلا ونهارا ولمدة عشرة أيام ، كانت الثلوج تغطي أوكرانيا في ذلك الوقت ، لكن الظروف الحياتية للمحتشدين كان أشبه باحتفالية ضخمة ، فقد لوحظ لمن درسها الاستعداد والإمكانات الضخمة لكل شيء بها:

* كانت هناك الآلاف من الخيام التي تمنع دخول البرد إلى من بداخلها ، كما كانت مجهزة بالتدفئة والأغطية اللازمة..

* كان هناك الطعام الساخن الذي يقدم على فترات منتظمة داخل كل خيمة ، وكان المطعم يخدم على مدار الساعة لمن يريد المزيد..

* كانت هناك منظمات دولية لحقوق الإنسان ، كأن الأرض انشقت وأخرجتها لتراقب أي انتهاك بالمحتشدين ..

* كانت هناك الحفلات الموسيقية داخل النقطتين بفرق غنائية محترفة ، بهدف الإبقاء على المتواجدين وجذب المترددين ..

أجبر المحتشدون النظام على التراجع عن نتائج الانتخابات ، كانت أجهزة الأمن تعلم أن واشنطن قد فعلتها ، فقد قبض الدولار عدة

آلاف ، ربما كانوا بحدود عشرين ألف ، لكن هؤلاء كانوا النواة التي جذبت عشرات أمثالهم من بسطاء القوم ..

لقد فاز رجل الغرب فكتور يوشينكو ، وأعطى له الشعب فرصة كاملة لتطبيق ما كان يعد به في كل ليلة من ليالي الاحتشاد في ميدان الاستقلال للدرجة التي جعلت الشعب الأوكراني يحفظ تلك الوعود ..
لخمس سنوات كاملة عجز يوشينكو عن قيادة أوكرانيا نحو الأفضل ، ولم يحقق من وعوده إلا اليسير منها ، وبقي الشعب الأوكراني يعاني الفقر وتوابعه ..

أجريت الانتخابات التالية في فبراير 2010 بين السيدة يوليا تيموشينكو (كانت رئيسة وزراء في عهد يوشينكو) وبين فكتور يانكوفتش (رجل روسيا) ، وفاز يانكوفتش بنسبة مريحة .. أما فكتور يوشينكو ، فقد أجبره الفشل في تحقيق ما وعد به على الاختفاء عن الأضواء ..

الشعوب المتحضرة تعطي الفرصة كاملة لمن فاز كي يزاول مهام عمله ، وفي نهاية فترته تنظر في صحيفته ، أما أن تقوم حفنة من أشباه حفنة فنزويلا بقطع الطرق والاعتصام حتى الموت – كما يقولون! – أمام المقار الرئاسية ، فهذا يدل على أن هناك من يخطط ويدفع بهم لتوسيع دائرة مؤيديهم ، فإذا تركهم النظام اتسعت تلك الدائرة ، وإذا تعامل معهم بالقانون كما يحدث في أي دولة متحضرة سيقولون : انتهاكات لحقوق الإنسان ..
علينا أن نترك الرئيس الجديد ليعمل مع فريقه في هدوء دون تشويش أو تعطيل ، حتى يمكن محاسبته حسابا يسيرا أو عسيرا بعد أربع سنوات !

وعلى الإخوان المسلمين ومرشدهم أن يبتعدوا عن رئيس الجمهورية ، الفريق المقابل يتهمهم بأنهم يجرون البلاد لصبغتها بالفكر الإخواني ، ربما بسبب التصريحات التي يطلقونها في وسائل الإعلام ، منطق جنى الثمار الذي أراه واضحا في تصريحات الإخوان سيجر البلاد إلى الفشل ، وربما لأكثر من ذلك ، تنبهوا إلى أن هناك من يدفعكم إليه ، لا توجد ثمار يتم حصادها أيها العاقلون ، بل أمراض بأرقام عالمية تعصف بأحشاء أبناء بلدكم ، وفقر مؤلم ، ودمار في كل المواقع ، وجيش منهار لا تعرفون مدى انهياره إلا بالمقارنة مع مثيله الإسرائيلي ..

على الإخوان المسلمين أن يجدوا الطرق المثلى لدفع الآخرين لمشاركتهم في إعادة بناء مصر ، عليهم أن ينزلوا إلى الشارع للعمل في المشاريع الخيرية ويبتعدوا عن الإعلام تماما ، لتكن تصريحاتكم هي أعمالكم في تلك المشاريع ، أما تسديد ضربات الكيد فلن ينتج عنه إلا المزيد من الفرقة ، والمتربصون بالداخل والخارج يريدون هذا الجدل المدمر منكم ، وهم على أية حال كثر ، والإخوان هم أدرى الناس بهم ..

ذكرنا متلين فقط لما فعله الطابور الخامس الأمريكي في إحباط آمال الشعوب ، لكن أمثلة هذا الطابور عديدة ومنتشرة حول المعمورة ، شرقا من محمد مصدق في إيران في عام 1953 ، وحتى غربا إلى سلفادور الليندي في تشيلي في عام 1973 ..

بقي على الشعب المصري أن يتنبه جيدا لما يحاك له في ظلام دامس بالداخل وعبر البحار ، فتاريخنا عريق ، هذا صحيح ! ،
وشعبنا طيب ، هذا أيضا صحيح ! ، لكن حين نقارن تلك العراقة وهذا الطيب بما يفعله المتآمرون وأصحاب الأجنات الخاصة نتذكر كارل ماركس وتحذيراته : " التاريخ لا يصنع شيئا ، لا يمتلك ثروات ، ولا يخوض معارك ، الرجال فقط هم من يفعلون ذلك " ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com